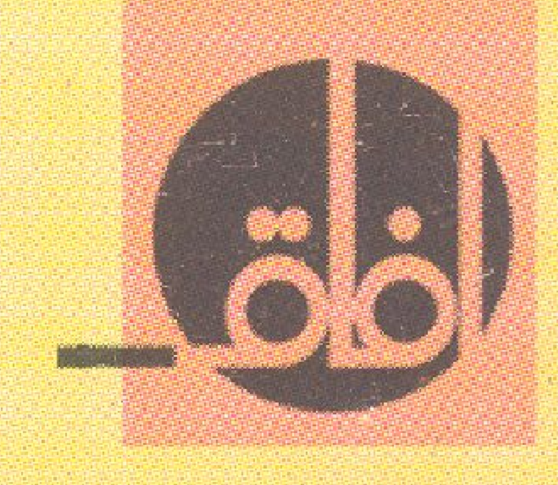
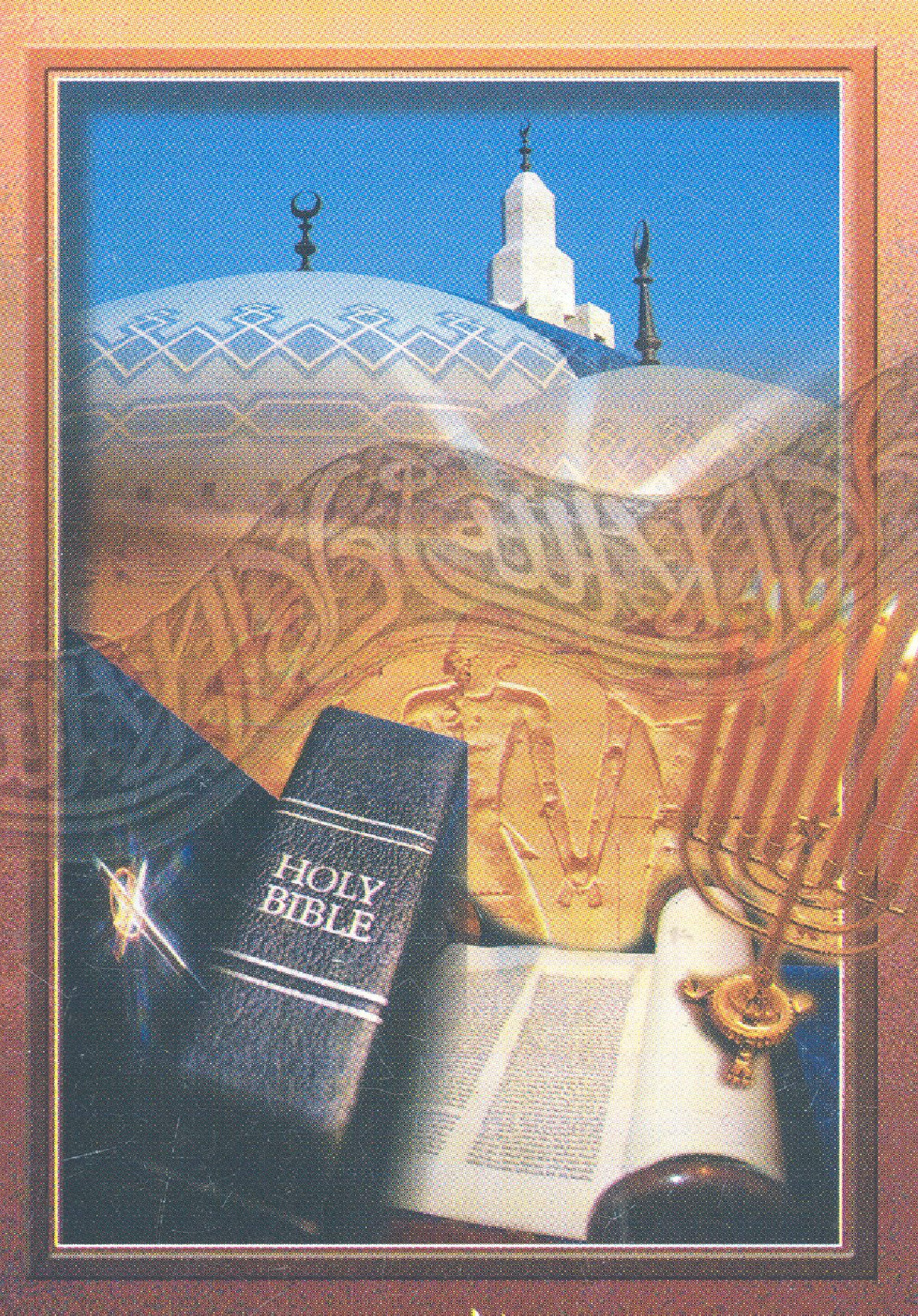
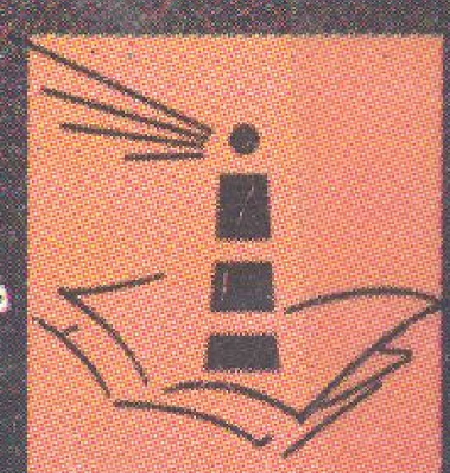


التوحيد
بين الإسلام والديانات الأخرى



د. خالد عزب



مكتبة الاسكندرية للنشر التوزيع

التوحيد بين الإسلام والديانات الأخرى

التوحيد

بين الإسلام والديانات الأخرى

د. خالد عزب

مكتبة الإسكندرية للنشر والتوزيع

الباب الأول

علم مقارنة الأديان برع علماء المسلمين فيه

للمعرفة الإنسانية عند المسلمين مصدران رئيسيان هما : الوحي السماوي المنزل من الخالق سبحانه وتعالي ، والعلوم المكتسبة في مختلف مجالات المعرفة والتي تجمعت عبر الأجيال المتعاقبة من السلالة البشرية.

والوحي السماوي نزل بيانا للناس من خالقهم ، وهداية لهم في أمور معاشهم في هذه الدنيا التي يحيونها ، وفي أمور الآخرة التي لم يشاهدوها .. ففيه الإجابات الكلية علي ما يدور في عقل كل صاحب عقل : من أنا ؟ من الذي أوجدني في هذا الوجود ؟ ما رسالتي في هذه الحياة ؟ وكيف يمكن لي القيام بتحقيق تلك الرسالة علي الوجه الأكمل والأمثل ؟ ثم ما مصيري بعد هذه الحياة ؟؟ وهي أسئلة يتعرض لها كل إنسان عاقل في مرحلة من مراحل حياته علي الأقل .. إن لم تعايشه طيلة حياته حتي يصله نور الهداية الربانية والوحي السماوي في هدايته للبشرية يتعرض لعلاقة

الأفراد بخالقهم وعلاقتهم بذواتِهم وبالأسرة الإنسانية كلها علي اختلاف ألوانها ومواطنها وألسنتها .. وهو كذلك يحدد قضايا العقيدة والأخلاق والمعاملات ، وكلها قضايا لا يمكن للإنسان أن يضع لنفسه فيها ضوابط صالحة من عنده .. وهو الذي قد زين له حب الشهوات .. وكانت الأثرة فيه شيئا من طبعه .

كذلك يحدد الوحي السماوي المنزل من الخالق تبارك وتعالي للناس عدداً من القضايا الغيبية التي لا يمكن للإنسان أن يصل إلي تصور لها بجهده الفردي منفرداً ، أما كل ما عدا ذلك من أمور الكون المادية ، وصور الحياة فيه وما يحكم ذلك من قوانين كونية لا تتبدل ولا تتغير ، ولا تتوقف ولا تتخلف ، فقد ترك لاجتهاد الإنسان وتحصيله ، ووسيلته في ذلك عقله وحواسه ، وهما علي روعتهما محدودان بحدود قدرات الإنسان ، وبحدود مكانه علي الأرض وزمانه

أي عمره ، وكلها حدود جعلت منجزات الإنسان في حقل المعارف المادية تأتي حثيثة .. بطيئة ، تنمو مع الزمن ، ومع نمو الحاجة إلي المعرفة ، والرغبة في الوصول إليها إشباعا لتلك الفطرة الطيبة التي غرسها الله في الجبلة الإنسانية ، ألا وهي حب الحق ، وحب التعرف عليه ، والتي يعبر عنها أحيانا بحب الاستطلاع .. أو بحب الجري وراء المعرفة ..

وهنا تجدر الإشارة مرة أخري إلي أن للمسلمين في قضية المعرفة الإنسانية موقفا خاصا : يختلف بجلاء من مواقف غيرهم من أصحاب المعتقدات الأخري ، ومن غير أصحاب المعتقدات لأن المسلمين يؤمنون بأن الإنسان بدأ عالما عابدا ، بينما يؤمن غير المسلمين خاصة المهتمين منهم بما يسمي اليوم باسم الدراسات الإنسانية - بأن الإنسان بدأ جاهلا كافراً ، ثم أخذ في التعرف علي الكون وظواهره التي أرعبته في باديء الأمر

فعبدها وتدرج في تلك العبادة الوثنية حتي وصل إلي القناعة بعبادة خالق تلك الأكوان .. فعبد الله ..

فالديانة عند العلمانيين نشأت وتطورت نتيجة لحاجة الإنسان إلي تفسير ما حوله من الظواهر وكأن الكون نشأ من اللاشيء من العدمية أو المادية ، وعاش الإنسان حياة شيوعية فلا ضوابط أخلاقية ولا أسرية وبالتالي لا توجد هناك موانع للممارسات الجنسية الحرة علي سبيل المثال ، وبما أن الإنسان قد تطور وكشف عن الطبيعة بل وقهرها وفسر أسرارها ، فهو ليس في حاجة إلي الدين الذي نشأ ليفسر له سر الطبيعة وما وراءها ، وبالتالي كما تطورت الأديان يجب كذلك أن تتطور الأخلاق ونظم الحياة لتعود إلي فطرتها الأولي ويعود الإنسان ليعيش كما عاش الإنسان البدائي في تصورهم !!.

وهذا ما يفسر اهتمام الغرب بعلم آثار ما قبل التاريخ والعصور الحجرية ، وهي علوم ذات معارف نسبية تقوم علي الآراء والأهواء يفسرون من خلالها ما يريدون ويعمقون من خلالها نظرتهم إلي الكون .

عقيدة التوحيد

وعقيدة التوحيد هي أصل الديانات البشرية ، ثم طرأ علي البشرية (الشرك) ، وكلما انحرفت عن طريق التوحيد أرسل الله تعالي الأنبياء والرسل لتذكير بني آدم مرة جديدة بعقيدة التوحيد ومما يؤيد ذلك قصة الخلق في القرآن الكريم ، حيث يذكر الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام وكان نبيا ، وهو أول من سكن الأرض من البشر .

وعندما انتكست المجتمعات وتدهورت ، أخذت في عبادة المخلوقات الأخري فعبدوا الشمس والمنافع

التي تعود عليهم منها ، ومازالت تحتل مكان القداسة عند اليابانيين .

كذلك عبدوا الإنسان في شخصية الأب أولا لأنه رمز النعمة والقدرة ، ثم تحولت إلي عبادة رئيس القبيلة لأنه أكبر قوة وقدرة ، وعبد القدماء المصريون فرعون مصر كما يذكر القرآن الكريم ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ (الآيتان ٢٣، ٢٤ من سورة النازعات) . ومن آثار الوثنية في عالمنا المعاصر تقديس البطولة والعظمة ، وهذا مظهر يتفق مع فلسفة التقدم الحضاري لدي الغربيين .

وإذا نظرنا بدقة في معطيات علم الآثار المتعلقة بالديانات الوثنية سنجد أن أصلها ديانات تقوم علي التوحيد وأن جلها متحرف بعد ذلك علي يد البشر ، فالمدقق في مشاهد يوم القيامة في الديانة المصرية

القديمة سيجدها صورة محرفة نسبيا من مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم وما ورد منها في أحاديث الرسول ﷺ وهذا دليل صدق رسالة رسولنا الكريم ، فهو لم يزر مصر ولم يعرف عن ديانتها شيئا ونحن لم نعرف عن هذه الديانة وما تحتويه من مشاهد يوم القيامة إلا عن طريق معطيات علم المصريات في العصر الحديث .

وكل هذا يقودنا إلي علم مقارنة الأديان لدي المسلمين وماذا قدموا فيه ؟ .

الشهر ستانى وابن حزم

دأب المسلمون إبان ازدهار حضارتهم ، علي دراسة الديانات البشرية المختلفة القريبة منهم والبعيدة علي حد سواء ، لأنهم أدركوا في هذا العهد المبكر ذلك الأثر القوي الذي يتركه الدين في نفوس الناس وسلوكهم حتي قيل إن دراسة العقائد والشعائر الدينية

يمكن أن تكشف عن طبائع الشعوب والأمم .

ولذا كتب الشهرستاني أشهر كتبه « الملل والنحل » الذي يؤرخ فيه لأديان عصره بمنهج علمي دقيق ، حتي أنه اشترط علي نفسه في مقدمة الكتاب أن يتجنب التعصب والميل مع الهوي ! يقول « شرطي علي نفسي أن أورد مذهب كل فرقة علي ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ، ولا كسر عليهم ، دون أن أبين صحيحه من فاسده ، وأعين حقه من باطله ، وإن كان لايخفي علي الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل » . بهذه الروح العلمية كتب الشهرستاني عن المجوس واليهود والنصاري ، كما كتب عن الصائبة ، وعبدة الكواكب ، وعبدة الأوثان ،وعبدة الماء ، ومعتقدات الهنود لا سيما البراهمة ، فأصبح كتابه دائرة معارف للديانات في عصره (القرن السادس) رغم أنه أراد في البداية «

مختصرا يحوي ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون ، عبرة لمن استبصر ، واستبصاراً لمن اعتبر » . علي ما يقول هو نفسه في المقدمة ، لكن هذا المختصر طال حتي زاد علي خمسمائة صفحة ، ولا يزال حتي الآن مربعا لا غني عنه لكل من يهتم بتاريخ الأديان ، حتي أنه ترجم - لأهميته - إلي بعض اللغات الأجنبية .

قام الشهر ستاني بدراسة الصلة بين عباد الأصنام وأصول العقائد وتفسيرها تفسيراً نفسيا حيث وضعوا الأصناف المعبرة عن معبود غائب ، إذ الصنم المعمول علي صورته وشكله وهيأته نائب منابه وقائم مقامه .

وفي هذا الصدد يقول : (وإلا فنعلم قطعا أن عاقلا ما ، لا ينحت جسما بيده ، ويصوره صورة ثم يعتقد أنه إلهه وخالقه ، وإله الكل وخالق الكل ... لكن القوم لما عكفوا علي التوجه إليها ، وكان عكوفهم

ذلك عبادة ، وطلبهم الحوائج منها إثبات إلهية لها وعن هذا كانوا يقولون « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ » (الآية رقم ٣ من سورة الزمر).

أما ابن حزم وهو عالم أندلسي يعتبر من أكبر علماء الإسلام بالمذاهب الدينية وتاريخ الكتب المنزلة ومن أحذقهم في الرد علي الأديان المخالفة للإسلام ، وعلي المذاهب الباطلة المخالفة لعقيدة الحق ، وهو يعتمد في رده عليها علي دليل العقل والمنطق . وكتابه « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ، وهو أجمع الكتب لمذاهب المخالفين للإسلام والرد عليها وهو مملوء بالآراء الطريفة ، من ذلك رأيه في المعرفة وفطرية المباديء الفكرية ورده علي الدهريين والقائلين بعدم العالم . وإثباته كروية الأرض بأدلة شيقة ، هذا بصرف النظر عن أن كتابه يتناول جملة المشكلات الدينية وجملة الآراء فيها مع النقد والتمحيص . ولا أجد في

بيان روح تفكير ابن حزم ونزعته أحسن من ذكر مثال من كلامه ، والذي يدور حول نقده للفكرة المأخوذة عن اليونان والقائلة بأن الأفلاك والنجوم كائنات لها عقل . قال « زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل وأنها تري وتسمع ولا تذوق ولا تشم . وهذه دعوي بلا برهان ، وما كان هكذا فهو باطل ومردود عند كل طائفة بأول العقل إذ ليست أصح من دعوي أخري تضادها وتعارضها ، وبرهان صحة الحكم بأن الفلك والنجوم لا تعقل أصلا هو أن حركتها أبدا علي رتبة واحدة لا تتبدل عنها وهذه صفة الجماد المدبر الذي لا اختيار له . فقالوا : الدليل علي هذه أن الأفضل لا يختار إلا لأفضل العمل فقلنا لهم : ومن أين لكم أن الحركة أفضل من السكون الاختياري .. » ؟ .

وبقية هذا النص في غاية الطرافة من حيث تمحيص دعوي الفلاسفة وبيان أنها لا أساس لها .

وهكذا يتبين لنا المنهج العلمي الصحيح الذي استخدمه علماء الأمة ، وسبقوا به غيرهم في مقارنة الأديان ، فاعتمدوا علي حقائق الوحي الإلهي فحافظوا عليه وصانوه بأدق مناهج علمية عرفتها البشرية وميزوا بين الدين الحق وغيره ، وإننا - كما يحدد ابن حزم لا نصدق في ديننا بشيء أصلا إلا ما جاء في القرآن وما صح بإسناد الثقاة ، ثقة عن ثقة ، حتي يبلغ إلي رسول الله ﷺ فقط ، وما عدا هذا فنحن نشهد أنه باطل » .

وأتي ابن الجوزي (٥٩٧ هـ) بعد ابن حزم ليؤكد ضرورة الاستناد علي الأدلة في البحث عن الدين الحق ، لا علي مجرد العادات وتقليد الآباء فبالدليل نميز في الشرائع بين ما يصح وما لا يصح ، وإذا أثبتنا الإله ، فينبغي أن نعرف بالدليل ما يجوز عليه مما لا يجوز . وهنا يفسر لنا ابن الجوزي في كتابه « صيد الخواطر »

سبب سقوط الناس في الشرك دون وعي مستخدما منهج التحليل النفسي الاجتماعي : (غير أن هوي القوم في متابعة الأسلاف واستحلاء ما اخترعوه بآرائهم ، (غطي علي العقول ، فلم تتأمل حقائق الأمور) .

ونستطيع أن نضرب مثلا من انحدار العقائد من التوحيد إلي الوثنية من خلال ما ذكره ابن الجوزي عن ديانة البراهمة حيث اجتازت ثلاثة أدوار :

الأول : دور التوحيد عند الهنود القدماء وربما انحدروا من الأصل السامي (نسبة إلي سام بن نوح معلمهم ومرشدهم وراثة عن أبيه) .

الثاني : دور الكهنة البرهميين ونشأة الثالوث الهندي (برهما ، فشنو ، سيفا) .

الثالث : دور الشرك والوثنية ، حيث اتسع نفوذ الكهنة فأنشأوا الامتيازات والاختصاصات ، ووضعوا نظام الطبقات ، وزعموا أنهم يتفردون

بمعرفة الحقائق العلوية ، وستروا الحقائق عن الشعب فجنح إلي الشرك وتعدد الآلهة ، وانحدر إلي عبادة الأشخاص والتماثيل والحيوانات .

الأدوار الثلاثة ارتبطت بعقيدة التثليث في الديانة البرهمية حيث كانت الديانة في دورها الأول قاصرة علي عبادة إله واحد . أما الدور الثاني فقد ظهر فيه الكهنة وأنشأوا الطقوس ، وأحدثوا عقيدة الثالوث الهندي . وكان الدور الثالث معبرا عن سيطرة الكهنة وتعميق نفوذهم علي الشعب لإبقائه علي حال من الجهل والغفلة ليتوصلوا إلي تسلم زمامه والاستعلاء عليه حيث وضعوا أنفسهم في المرتبة الأعلي من السلم الاجتماعي الطبقي ، وجعلوا باقي الطبقات دونهم .

ولعل هذا يقودنا إلي الحديث عن أبرز ما ألفه علماء المسلمين في مجال الدراسات المتعلقة بالديانات الهندية المختلفة والتي جاءت بعد معاناة وطول بحث وتمحيص علي يد أبي الريحان البيروني الذي سافر في القرن الخامس الهجري إلي الهند وقضي فيها أربعين عاما يدرس أولا لغتها القديمة - السنسكريتية وتيقنها إتقانا يجعله يترجم إلي اللغة العربية عدداً من مؤلفات السنسكريتية كما يترجم إلي السنسكريتية كتاب « أصول الهندسة » لإقيلدس والمجسطي لبطليموس . ثم يكتب كتابه العظيم « تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مرذولة » . ولم يكن الكثير مما يضمه هذا الكتاب القيم جديداً علي المسلمين فحسب ، بل كان كذلك علي ما يشير المستشرق الألماني إدوارد سخاو ناشر الكتاب . إن أهمية مثل هذا الكتاب ودراسته شديدة في فهم الشعب الهندي وجذور عقائده

وأفكاره وبالتالي في التعامل السليم معه في مجال الدعوة والسياسة ، وقراءة دقيقة لما خطه المسلمون في مجال دراسات الملل والنحل يكشف عن جذور الفكر الغربي في مرحلتي الحداثة وما بعد الحداثة . ويحتاج مثل هذا الأمر إلي دراسة مفصلة تقارن بين هذه الملل والنحل وما يشابهها في الفكر الغربي المعاصر . وهو ما يساعدنا من خلال دحض علماء المسلمين القدامي لها علي دحض الأفكار المعاصرة ذات الجذور القديمة .

الباب الثانى

الهنود يؤمنون بتناسخ الأرواح ووحدة الوجود ويعبدون البقرة

تعتبر الهند موطن العجائب والغرائب في مجال العقائد الدينية ، والهندوسية أو البرهمية أكثر هذه العقائد انتشارا وهي قد تطورت منذ آلاف السنين مع أحداث التاريخ ، فكانت كل مرحلة من مراحلها رد فعل لحدث تاريخي معين ، وهناك ثلاثة ملامح هامة للهندوسية تعطيها شكلا متميزا واتساقا وهي المذاهب الستة وهي كما يلي :

١ - مذهب نيايا وهو مجموعة من النظريات المنطقية تمتد طوال ألفي عام وكلمة نيايا تعني « التدليل والبرهنة » أو طريقة لهداية العقل ، ومؤلفه يدعي « جوناما » وهو يقول إن هدفه هو تحقيق النزفانا عن طريق التفكير الواضح المتسق .

٢ - مذهب فشكا : وهو يذهب إلي أنه ليس في العالم إلا ذرات وفراغ .

٣ - مذهب سانخيا : وهو أقدم المذاهب الستة .

٤ - مذهب اليوجا : والمعني الحرفي للكلمة هو «

البير » والمقصود إخضاع الإنسان لنير النظام التقشفي حتي يبلغ طهارة الروح من أدران المادة وقيودها .

٥- مذهب ميما : عبارة عن تفسير خاص للفيدا والفيدا أدعية وصلوات وأوراد منظومة تتلي في بعض المناسبات نثرا وهي من تأثيرات الآريين الذين غزوا الهند ما بين عامي ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ قبل الميلاد .

٦- الفيدنتا : الذي يعني خاتمة الفيدا ، والملمح الثاني البورناس بالنسبة لحكايات الخوارق والأساطير ، والثالث نظام الطبقات المغلقة .

ونشير باديء ذي بدء إلي أن المذاهب الستة السابقة هي مذاهب عقائدية يؤدي كل واحد منها بطريقته الخاصة إلي الانعتاق من أغلال الوجود الأرضي .

وباعتبار أن الهندوسية دين متطور ومجموعة من تقاليد الهند وصور حياتهم فقد أطلق عليها البراهمية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلي براهما (الإله الخالق) أو القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيرا من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين ومن براهما اشتقت الكلمة البراهنة ، لتكون علما علي رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي ، وهم لهذا كانوا كهنة الأمة ، ولا تجوز الذبائح إلا في حضرتهم وعلي أيديهم .

ومن النماذج المنفردة في كتب الهندوس المقدسة ما ورد في نشأة الخلق والكون إذ يقول النص المفسر في كتب الهندوس لهذه النشأة : « إن هذه الدنيا كانت غامضة لا توجد لها علاقة ولا وسيلة وليس في مقدرة أحد أن يتوسل إليها بالحجج والبراهين ، ثم ظهر

بيرميشور إله الآلهة بمادة التكوين وأراد أن يخلق خلقا من ذاته ، فخلق الماء وألقي فيه نطفة ، فصارت هذه النطفة بيضة فخرج منها (برهما) الخالق وكسر البيضة نصفين ، فخلق من أحدهما الجنة ومن الثاني الأرض والسموات وما بينهما والجهات الثمان والبحور الهادئة ثم أخرج من فمه (براهمن) ومن عضده (كهتري) ومن فخذه (ويش) ومن رجله (شودرا) ، فما دام براهما مستيقظا فالدنيا باقية . وإذا أخذه النوم تقوم القيامة .

عبادة البقرة

يصف جوستاف لوبون عبادة الهنود للحيوانات والجمادات والإنسان بقوله : (وهيهات أن تجد هندوسيا لا يعبد عدداً من الآلهة ، فالعالم عنده زاخر بها حتي أنه يصلي للنمر الذي يفترس أنعامه ، ولجسر الخط الحديدي الذي يصنعه الأوربي ، وللأوربي نفسه عند الاقتضاء) .

ويري الأستاذ عباس العقاد أن عبادة الهنود للحيوانات نشأت عن الفكر الطوطمي ، أو عن اعتقادهم بأن الله يتجلي في بعض الأحياء فيحل فيهم فيحتمل حلوله في هذا الحيوان أو ذاك ، أو لأنهم آمنوا بالتناسخ فجاز عندهم أن يكون الحيوان جدا قديما أو صديقا عائدا إلي الحياة . وتحتل البقرة مكانة بارزة في (الفيدا) كتاب الهندوس المقدس الذي يتحدث عن قدسيتها والصلاة لها ، ومن نصوص الصلاة إلي البقرة فيه .

« أيتها البقرة ، لك التمجيد والدعاء ، وفي كل مظهر تظهرين به أنت تدرين اللبن في الفجر وعند الغسق ، أو عجلا صغيرا ، أو ثورا كبيرا فلنعد لك مكانا واسعا نظيفا يليق بك ، وماء نقيا تشربينه ، لعلك تنعمين بيننا بالسعادة . والثور رغم أن أمه بقرة وجدته بقرة ، وابنته بقرة أيضا ، إلا أنه ليس محترماً ، وتطبق

عليه أقسي أنواع القوانين والعقوبات فهو منبوذ – وفي الهند هذا الحيوان المنبوذ يجر العربات ويحرث الأرض ويضربه الفلاحون ، واليد التي تضربه هي نفس اليد التي ترتفع بالتحية لأمه أو لجدته أو حفيدته .

ثم يأتي المهاتما غاندي فيخاطب البقرة ويناديها باسم (أمي البقرة) فيقول : إن حماية البقرة التي فرضتها الهندوسية هي هدية الهند للعالم ، هي إحساس رباط الأخوة بين الإنسان ، وبين الحيوان ، والفكر الهندي يعتقد أن البقرة أم للإنسان ، وهي كذلك في الحقيقة ، إن البقرة خير رفيق للمواطن الهندي ، وهي خير حماية للهند .

عندما أري البقرة لا أعدني أري حيوانا ، لأني أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع ، وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه ، فالأم

الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا ، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائما ، ولا تتطلب منا شيئا مقابل ذلك سوي الطعام العادي .

وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة ، ولكن عندما تمرض أمنا البقرة فلا نخسر لها شيئا ذا بال ، وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهي حية ، لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها حتي العظم والجلد والقرون .

ويفسر لنا غاندي سبب أقواله هذه العبارة التالية : « أنا لا أقول هذا لأقلل من قيمة الأم ، ولكن لأبين السبب الذي دعاني لعبادة البقرة ، إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال ، وأنا أعد نفسي واحدا من هؤلاء الملايين » .

وهكذا يخضع الإنسان لحيوان أبكم ، وعندئذ ينطبق عليه وصف الله تعالى :

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

وقوله عز وجل :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾

(الأعراف آية ١٧٩) .

التناسخ

يؤمن الهندوس أن النفس تموت علي نحو متكرر وتولد من جديد وتتجسد علي نحو متكرر في كائن حي جديد وهي العقيدة المسماة سمسارا Samsara .

وتقوم هذه العقيدة علي تكرار الولادة والوفاة أو

تجوال الروح - علي أساس فكرة العقاب للذين لم يستطيعوا أن يندمجوا في الكل الذي هو الإله في العقيدة البرهمية لارتباطها بتصور أن الوجود واحد ، فإذا ما مات الإنسان الشرير لا تنتقل روحه إلي إنسان آخر ، بل يجوز أن تحل في كلب أو شجرة ، وما يزال تكرار الوفاة فالولادة إلي أبد الآبدين ، إذا لم تستطع أن تتجرد من الشهوات تجردا تاما يصعد بها إلي حيث يمكنها الاتحاد مع الكل ، فإذا استطاعت الروح التخلص من إسار الشر فإنها ستندمج في الكل لتنعم بالاتحاد معه ، وبهذا الاتحاد تنجو من العذاب الذي يتجلي في الولادة الجديدة المتكررة .

ويستخلص الدكتور مصطفي حلمي من هذا تحول الدنيا عند البراهمة من دار ابتلاء واختبار والآخرة دار حساب وجزاء ، إلي اعتبار الأرض دار جزاء وثواب .
وترجع فكرة التناسخ إلي نظرة البراهمة للنفس

كجوهر خالد صاف عالم مدرك تمام العلم والإدراك ما دام منفصلا عن الجسد ، فإذا فاض علي الجسد واتصل به اعتكر صفاؤه ونقص علمه .

ويوضح النص الذي نقله العلامة البيروني هذه الفكرة توضيحا تاما علي لسان قول باسريو لأرجن يحرضه علي القتال : (إن كنت بالقضاء السابق مؤمنا فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن بموتي ولا ذاهبين ذهابا لا رجوع معه ، فإن الأرواح غير ميتة ولا متغيرة ، وإنما تتردد في الأبدان علي تغاير الإنسان من الطفولة إلي الشباب والكهولة ثم الشيخوخة التي عقباها موت البدن ، ثم العود له) .

كذلك يصف له النفس بأنها (أبدية الوجود ، ولا عن ولادة ولا إلي تلف وعدم ، بل هي ثابتة قائمة لا سيف يقطعها ولا نار تحرقها ... » وانبثقت من عقيدة

التناسخ أيضا مجاهدة الهندوس لنفسه والسعي نحو إلغاء إرادته ورغبات نفسه أو باصطلاحهم الفناء في الكل ، وقد انتقلت الفكرة إلي بعض صوفية المسلمين حيث كانوا يسعون إلي إماتة شهواتهم ، وإعدام رغباتهم في سبيل الفناء في الله تعالي ، وهو ما لا سبيل للوصول إليه ، ولهذا لقوا معارضة قوية من علماء السنة .

وحدة الوجود

ومن تصور التناسخ أو ولادة الأرواح تتضح عقيدة وحدة الوجود ، لأن العقيدة البرهمية تنطوي علي الظن بأن الكائنات تعود كلها في نهاية مطافها إلي المصدر الأول الذي نشأت عنه وهو الله (والإنسان أحد هذه الكائنات فيعرض له ما يعرض لها ، وروحه قطرة من نور الله ، انفصلت عن الله إلي أجل محدود ، واتصلت به ، ثم تتصل بعده بكائن آخر وآخر وهكذا

علي طريق التناسخ ، وتجوال الأرواح ، ثم تعود في النهاية إلي الله متي جاء الأجل » .

إن هذه الفكرة كما يذكر الدكتور مصطفي حلمي تقوض الإيمان بالله من أساسها ، وهو - كما يصفها الشيخ الغزالي عنوان آخر للإلحاد في وجود الله أو تعبير ملتو للقول بوجود المادة فقط ، وما دام لا يوجد شيء وراء هذا العالم ، فالقول بأن الله داخله هو صورة أخري للقول بنكرانه ولو كانت الأرض لؤلؤا ومرجانا ، ما صح أن تكون ذات الله . إن الصاروخ شيء غير الإنسان الذي أطلقه ، وكذلك فالعالم شيء غير الرب الذي أبدعه وسيره . (الله خالق كل شيء وهو علي كل شيء وكيل له مقاليد السموات والأرض) .

وقد أزعج ابن تيمية هذه المظاهر ، حيث تسللت إلي المسلمين من خلال التصوف فكرة وحدة الوجود

عن طريق ابن عربي (٦٣٨ هـ) الذي جوز هو وأتباعه عبادة كل شيء ، وكأنهم ما عبدوا إلا الله لأن المذهب يدور حول أن الوجود واحد .

يقول ابن عربي :

وقد كنت قبل اليوم أكره صاحبي   إذا لم يكن ديني إلي دينه داني

فأصبح قلبي قابلا كل صورة   فمرعي لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف   وألواح توارة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أني توجهت   ركائبه فالحب ديني وإيماني

ولقد عورضت فكرة وحدة الوجود بسبب انعكاساتها علي العقيدة والأخلاق لأنه وفق هذه النظرة تصبح عبادة قوم موسي للعجل هي عبادة لله أيضا ، وتساوي بين عبادة الأصنام وعبادة الله تعالي . كما أدت هذه العقيدة الباطلة إلي تفسيرات مناقضة تماما للتوحيد الإسلامي ، ومعاني الآيات القرآنية الجليلة الواضحة . ومثال ذلك : رأي ابن عربي المخالف لصريح الآية القرآنية ، حيث يصف موسي

عليه السلام بأنه كان قرة عين لفرعون الذي آمن عند الغرق (فقبضه طاهرا مطهرا ، ليس فيه شيء من الخبث لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئا من الآثام) .

وعندئذ يعلق ابن تيمية ، إذ يري أن قوله لم يسبق إليه فيما أعلم أحد من أهل القبلة ، لأن النص القرآني صريح في فسق فرعون ، وكونه من المكذبين لموسي ، الظالمين الداعين إلي النار .

أما أثر وحدة الوجود في مجال الأخلاق والسلوك الإنساني ، فإنها تؤدي إلي جبرية صارمة وتعطيل للإرادة ، وتوقف التفكير ، وامتناع التفرقة بين الخير والشر والتمييز بين الثواب والعقاب ، وسقوط قيمة الإلزام الخلقي ، وزوال المسئولية الأخلاقية بإسقاط ركنيها : العقل وحرية الاختيار .

السيخ

ولدت ديانة السيخ على يد ناناك وهو معلمهم الذي ولد عام ١٤٦٩ م في البنجاب ، وهذه الديانة مركبة من الهندوكية والإسلام وبعض العقائد الهندية الأخري ، غير أن أثر الديانتين الإسلام والهندوكية واضح في ديانة السيخ بقوة .

ويؤمن السيخ بالرقم (١) الذي يمثل في كتبهم وحدانية الله ، وهو مفهوم فسره المعلم ناناك تفسيراً واحديا . فالله عند المعلم « ناناك » شخصي وواحد ، وهو الخالق ، المفارق المتعالي الذي يجب أن يرتبط به ارتباطا وثيقا أولئك الذين يبحثون عن الخلاص . وهذا السعي من أجل الخلاص هو الذي يهم ناناك الذي يكرر القول بأن طريق الخلاص هو الذي يشكل فحوي تعاليمه . ويعبر المعلم ناناك عن فهمه لله بعدد من المصطلحات المكررة من قبل المصطلح الأول وهو نرنكر Nirankar أي ما لاشكل له ومن أبرز ما يوصف

به الله أنه هو الواحد الذي لا شكل له ، والصفة الثانية هي أكال Akal أي الأن لي ، والثالثة هي ألخ Alakh أي ما لا يوصف ، وقد ظل ناناك متأثراً بالهندوكية لإنكاره البعث واعتقاده بالتناسخ ، مع اختلافه مع الهنادكة في قولهم بالفناء مفصلا كلمة الاتحاد بالله ، متصوراً أن الروح لا تفني فيه ولكن تبقي ذات وجود متميز .

ويبلغ تعداد السيخ الذين يعيشون اليوم في الهند ١٢ مليون نسمة ، وهم يمثلون ٣ ٪ من السكان ويتركزون في البنجاب ، ويظن بعض المسلمين أن هناك خلافات بين الهندوس والسيخ ولكن الحقيقة أن العلاقات متواصلة بين الطائفتين وهي علاقات صداقة وزواج متبادل صحيح أن قادة السيخ يعلنون بين الحين والحين عن وجود نوايا سيئة لدي الهندوس ، غير أن هذه التصريحات تكون عادة لأغراض سياسية ولا تؤثر في العلاقات إلا قليلا .

الباب الثالث

توراة موسى كتبت بالهيروغليفية
وتوراة اليهود بالعبرية

العهد القديم من الكتب التي أثارت جدلا واسعا حول نصوصها ، ولعل ما ذهب إليه الدكتور عبد الحميد زايد هو عين الصواب حين قال إن هذا الكتاب لم يأت وحيا كما لم يكتب دفعة واحدة ، ولم ينزل من الله جل جلاله . وهو عبارة عن سجل تاريخي اختلف الناس في أقسامه وعدد أسفاره ، ففريق يري أنه أربعة وعشرون سفرا ، ويري آخرون أن عدد أسفار العهد القديم يجب أن يتفق وعدد الحروف الأبجدية العبرية ، فهو لديهم إثنان وعشرون سفرا ، وفريق ثالث جعل منه تسعة وثلاثين سفرا ، وقد تطلب وضعه زمنا امتد ألف عام .

والآن لنا أن نتساءل عن مدي أصالة النص العبري ! هل هو النص الأصلي القديم الذي يعتمد عليه ؟ لقد تعرض هذا النص كثيرا لأعمال الحرق والإبادة بسبب الحروب الداخلية أولا والغزو الخارجي ثانيا . وحوالي

أوائل القرن الأول الميلادي ، فكر اليهود في جمع الموجود من الأسفار المقدسة سواء المحفوظ في صدور الناس أو المدون ، وقامت منافسات بين المدارس الشرقية البابلية من ناحية والغربية الفلسطينية من ناحية أخري إلي جانب ما أظهرته مخطوطات وادي قمران المكتشفة عام ١٩٤٧ م بجوار البحر الميت وغيرها من مخطوطات ثم نجد التوارة السامرية التي ترجع إلي القرن الرابع قبل الميلاد تتفق مع الترجمة السبعينية في الثلث فقط ، أما الترجمة السبعينية ، فقد تمت أيام بطليموس الثاني فيلادلفوس ٢٨٥ - ٢٤٧ ق . م .

وقيل إنه شكل لجنة من اثنين وسبعين عالما (ستة من كل سبط) قاموا بترجمة العهد القديم في الإسكندرية في اثنين وسبعين يوما ، لذلك أطلق عليها الترجمة السبعينية وهي ليست دقيقة كما ذكر الدكتور عبد الحميد زايد بل يلاحظ فيها نقص واضطراب عند ترجمة الألفاظ العبرية إلي الإغريقية .

ثم ظهرت تراجم أخري مثل ترجمة ثيودوثيون وترجمة أكويلا منتصف القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي ، ونشأت أسفار العهد القديم وتطورت في عصور بعيدة ، وهي تضم ثلاثة أقسام :

١- توراة ٢- الأنبياء (نبيم)

٣- الكتابات (كنوبيم).

والحقيقة أن كتابا تطلب تأليفه وجمعه ألف عام لابد أنه مر بأدوار كثيرة ، فلا توجد وحده في أسفاره وقد امتد جمعها من البدء أي حوالي عام ١١٠٠ ق ، م حتي القرن الثاني قبل الميلاد تقريبا .

ولم تعرف التوراة باسم خاص : فهي التوراة أو الشريعة وقد خلع عليها اليهود أسماء خاصة لا تشير إلي محتوياتها عامة وعلي وجه الدقة . ويبدأ كل سفر من الأسفار الخمسة بما يلي :

السفر الأول ويبدأ بلفظ (براشت - في البدء) ، ويبدأ السفر الثاني بلفظ (شموت - أسماء) ، ويبدأ

السفر الثالث بلفظ (ويقرأ - ودعا) ويبدأ السفر الرابع بلفظ (بمديد - برية) ، ويبدأ السفر الخامس بلفظ (دبريم - كلمات) ، وأطلقت الترجمة السبعينية عليها أسماء أخري كل اسم يعبر عن بعض محتويات السفر اللاتينية .

إن إطلاق اسم (أسفار موسي الخمسة) علي التوراة ، لا يشير فقط إلي الاهتمام بموسي ، بل إلي افتراض نسبتها إليه باعتباره مؤلفها ، وهذه هي عقيدة اليهود منذ عهد فليون السكندري (القرن الأول ق . م والأول الميلادي) ويوسيفوس اللذين عاصرا المسيح وأعلنا أن موسي هو مؤلف التوراة إلا أن التلمود (هي لفظة عبرية معناها التعليم) يقرر أن الأعداد الثانية الواردة في التوراة والخاصة بموسي هي من وضع يشوع نائب موسي . وتأخذ الكنيسة بهذه الراوية الضعيفة ، وهي أن موسي مؤلف التوراة ، وفي التوراة

عبارات تتعلق بموسي لا يمكن أن تصدر عنه مثل ذكرها وفاة موسي !! .

والنتيجة أن الأسفار الخمسة (تكوين - خروج - لاويين - عدد - تثنية) ليست لموسي أولا ولا لمؤلف واحد بل هي عبارة عن كتاب يرجع إلي مصادر عديدة وعصور متباينة .

وفي القرن التاسع عشر ، كشفت معاول الحفر في كل من بلاد النهرين ومصر وبوغازي كوي ورأس الشمرة عن وثائق هامة وهذه جميعها أخرجت العهد القديم من جموده وعزلته وأدخلته في تاريخ الشرق الأدني القديم إلي أصوله الشرقية . وأصدر العالم الأكدي فردريك ديليتس سلسلة من المؤلفات حول بابل والكتاب المقدس ، وأثبت اعتماد العهد القديم إلي حد ما علي العقائد البابلية .

وقد جاء فيما كتبه أحد الأساتذة المتخصصين في الدراسة العبرية وهو المرحوم الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين علي في مؤلفه التوراة الهيروغليفية « نا لا أنكر هنا أن موسي عليه السلام جاءته صحف وأنزلت عليه توراة إلا أن هذه التوراة العبرية والتي هي بين أيدينا ويؤمن بها اليهود وغيرهم ليست توراتنا التي أنزلت علي موسي وبسبب جوهري صحيح أنها جاءتنا في اللغة العبرية ، والعبرية لم يعرفها موسي ولم يعرفها الإسرائيليون طيلة حياة موسي ، فموسي عاش وتوفي قبل أن توجد العبرية ويعرفها الإسرائيليون ، فموسي كما تذكر المصادر اليهودية وغيرها ولد في مصر .ولو سلمنا أن موسي وسائر العبرانيين المقيمين في مصر لم يتكلموا المصرية فإنهم لم يتكلموا العبرية بل الآرامية ونحن نفهم تحت لفظ العبرية لغة الشعب الإسرائيلي التي اقتبسها من الكنعانيين عندما تسللوا إلي أرض كنعان حوالي آخر القرن الثالث عشر ق . م . وهذه

التسمية لغة عبرية لا تجد لها أثرا في العهد القديم حيث ذكرت في سفر أشعيا (سفر كنعان) أي لغة كنعان أو كما جاء في سفر الملوك الثاني (يهوديت) أي اليهودية كما أطلق علي اللغة العبرية في المؤلفات المتأخرة اسم (لشون هقودش) أي اللسان المقدس.

أما اللغة الكنعانية فهي الأم التي تفرعت منها العبرية والموآبية والفينيقية ، قد حفظت لنا بعض خصائصها في هذه المجموعة من المفردات التي وجدت طريقها إلي اللغة المصرية القديمة .. وقد أخذ الإسرائيليون هذه اللغة الكنعانية الأصل بعد اختلاطهم بالكنعانيين أيام يشوع بن نون ومن خلفه أعني بعد وفاة موسي ، وهؤلاء الإسرائيليون هم الذين أغنوا اللهجة العبرية بهذه المفردات المصرية القديمة .

ومن هنا نري أن ظهور اللغة العبرية كان لاحقا

جدا لا لموت موسي فحسب ، بل لدخول من خرجوا من مصر إلي أرض كنعان ، فصحف موسي وتوراته لم تدون بالعبرية بل بالمصرية القديمة (الهيروغليفية) ، وهذه التوراة التي بين أيدينا وثيقة الصلة بالعقيدة المصرية التي بشر بها أخناتون وإن مقابلة بين ما وصلنا من العقيدة الآتونية وما جاء مبعثرا في العهد القديم نأخذ بيدنا إلي توراة اليهود المتداولة بين أيديهم اليوم .

يقول ابن حزم عند نقده لكتب اليهود : (نذكر إن شاء الله تعالي ما في الكتب المذكورة من الكذب لا يشك كل ذي مسكة تمييز في أنه كذب علي الله تعالي وعلي الملائكة عليهم السلام وعلي الأنبياء عليهم السلام ، إلي أخبار أوردوها لا يخفي كذب فيها علي أحد كما لا يخفي ضوء النهار علي ذي بصر .

وقد ألحق بنقده للتوراة نقداً لسائر الكتب التي يضيفونها إلي الأنبياء عليهم السلام : منها كتاب يوشع

، ففيه براهين قاطعة بأن بعض متأخريهم ألفه لهم ، حيث يتضمن نصا يفيد بناء سليمان بن داود - عليهما السلام - لبيت المقدس .

(ومن المحال الممتنع أن يخبر يوشع أن سليمان - عليه السلام - بني بيت المقدس ويوشع قبل سليمان بنحو ستمائة سنة) .

التلمود

يحتل التلمود المكان الأسمي كأحد مصادر العقائد والأفكار عند اليهود وقد يفضلونه علي التوراة نفسها ، أو العهد القديم ، ويتخذونه (دستورا للعمل) بهدف السيطرة علي البشرية ، واحتواء الأديان والأمم .

والتلمود في تعريف جامع هو (هذه الأحاديث الشفوية التي سجلت بعد ذلك - أي بعد التوراة -

والتي كانت ثمرة النظر ودراسة الأسفار التي جاءت عن يهوه) ، ويسمي متن التلمود (المشنا) ، وله شرخان أو جمارتان أحدهما جمارة أورشليم ، والأخري جمارة بابل . وإلقاء الضوء علي بعض النصوص الواردة في التلمود يكشف عن حقيقته ومنها علي سبيل المثال :-

اعلم أن أقوال الحاخامات هي أفضل من أقوال الأنبياء .

أن من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارة (التلمود) فليس له إله .

أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله .

أن مخالفة الحاخامات هي مخافة الله .

الألوهية

فكرة الألوهية في الديانة اليهودية تكشف عن حقيقتها ، فقد تصور اليهود في التوراة والتلمود الله عز

وجل في صورة مجسمة ، ووصفوه بكثير من الصفات غير اللائقة بالألوهية - تعالي الله عما يقولون علوا كبيرا . منها الزعم بأن الله تعالي استراح في اليوم السابع بعد خلق السموات والأرض فأعلن القرآن الكريم كذبهم وبهتانهم بقوله تعالي ﴿ لقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ (ق آية ٣٨) .

وتدل هذه الأسفار علي أنهم كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة مع تصورهم بأن لهم إلها خاصا وأنهم هم أحباره . وهناك تخيلات وأوهام يلحقونها بالله تعالي ، منها ما يرويه التلمود عن أعماله في الليل والنهار ، وعن خالقه بعدم هدم الهيكل وتشريد بني اسرائيل (كمذاكرة التلمود مع الملائكة ، ومع ملك الشياطين والاعتراف بالخطأ بعد هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل والبكاء والندم والغضب علي بني إسرائيل

والقضاء عليهم بالتشريد والشقاء) تعالي الله عما يقولون علوا كبيرا .

إن مثل هذه الاعتقادات الباطلة المخالفة لعقائد التنزيه لله تعالي جعلت عالما غربيا كبيرا - وهو ول ديورانت - يميل إلي ترجيح أن الفاتحين اليهود (عمدوا إلي أحد آلهة كنعان فصاغوه علي الصورة التي كانوا عليها ، وجعلوا منه إلها : الإله يهوه ، فيهوه ليس خالقهم بل مخلوق لهم ، وفي يهوه صفاتهم الحربية : التدمير والسرقة ، ويهوه قاسي مدمر متعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعوب ، بل إله بني إسرائيل فقط ، وهو بذلك عدو للآلهة الآخرين ، كما أن شعبه عدو للشعوب الأخري) .

ومن هنا حق لكل منصف من علماء مقارنة الأديان - كالقرافي - أن يتساءل (فأين هذا من قول

المسلمين ؟ إن خلق الله تعالي لجملة العوالم كخلقة لأقل جزء من جناح بعوضة ، وأن إيجاده بأن يقول للشيء كن فيكون) ؟ .

الأنبيــاء

تنسب الأسفار لبعض الأنبياء أعمالا قبيحة تتنافي مع وضعهم الديني والاجتماعي ، بل تتعارض مع الخلق الكريم في ذاته ولا يتصور صدورها إلا من سفلة الناس ، كالقصص المفتراه عن إبراهيم ولوط وداود ونوح عليهم السلام .

ومن جهة أخري يتوسع اليهود - لا سيما الذين لا يلتزمون بالنصوص المقدسة - في دائرة النبوة والأنبياء ، ويدخلون فيها كل من هب ودب ، فيرون في (الكهنة والأحبار الذين تلوا الأنبياء الأخيرين : دانيال واستير وعزرا ونحميا وملاكي ، استمرارا للوحي والنبوة) ويضيف الدكتور حسن ظاظا إلي ذلك قولهم : (بل إن

كثيرا من العلمانيين اليهود ممن ألهبت أرواحهم نيران الصهيونية الحديثة يبقون باب النبوة هذا مفتوحا حتي القرن العشرين ليدخل منه تيودور هرتزل أيضا) .

كذلك فقد أنكروا نبوة نبينا محمد ﷺ ولكنهم لم يفلحوا - ولا أفلح غيرهم - من النيل منه مهما اختلقوا من أكاذيب وافتراءات لأنها تتصدع وتنهار أمام شخصيته وأخلاقه التي تسمو علي المطاعين والترهات لكل من درس سيرته بتجرد ونزاهة - بل يتضح الأسلام في دائرته الواسعة - كدين وحضارة - مرتبطا بشخصيته أوثق ارتباط ، إذ يتضح صدق نبوته إذا ما استخدمنا منهج المقارنة بهذه الرؤية الجامعة لأن شخصيته وسنته ليستا بمعزل عن شريعة الإسلام وأمة الأسلام لأنهما من آثاره الباقية .

الإيمان باليوم الآخر

يلاحظ الباحثون أن هناك اضطرابا وغموضا في عقيدة اليهود في اليوم الآخر أقرب إلي الإنكار منها إلي الإقرار والإيمان .

ويرجع ذلك إلي اختلاف النصوص الواردة عن الآخرة بين التوراة والتلمود : فقد خلت أسفار العهد القديم من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه ، بينما ذكر التلمود في بعض فقراته الجنة والنار (ولكنها في صورة مضطربة أدني إلي الخرافة والأساطير منها إلي حقائق العقيدة ، فتذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوي إليها الأرواح الزكية ، وأنه لا يدخلها إلا اليهود ، وأن أهلها يتناولون لحم طير كبير لذيذ الطعم ولحم أوزسمين ، وأن شرابهم فيها نبيذ معتق عصره الله في اليوم الثاني من الأيام التي خلق فيها العالم ، وأن النار لغير اليهود من المسلمين والمسيحيين .

ومن هنا اختلفت الآراء حول معتقدات اليهود عن اليوم الآخر ، فيري الدكتور علي عبد الواحد وافي أن بعض فرق غير شهيرة من فرق اليهود كانت تذهب في عقيدتها إلي ما يقرره التلمود في هذه الفقرات وكانت تفسرها بمدلولها الحقيقي لا بمدلولها المجازي . ويستدل من ذلك علي أن توراتهم من صنع أيديهم ، وأن توراتهم المزعومة مخالفة للتوراة الصحيحة التي أنزلها الله تعالي علي موسي - عليه السلام - نورا وهدي للناس .

الباب الرابع

٢٤ ألف مخطوط للإنجيل لا يوجد اثنان منها متشابهان

النصرانية تأثرت بالعقائد الوثنية فكانت صدى له

ثار جدل واسع حول الأناجيل ومصادرها ، فاليهود يؤمنون بأن العهد القديم أو التوراة وحدها هي كلام الله ، ولا يعترفون بالعهد الجديد ، أما المسيحيون فيعتبرون العهد القديم كتاب الشريعة والعهد الجديد عهد الفضل والكفارة .

وتعليل ذلك أن الأناجيل خلت من الأحكام التشريعية واعتمادا إلي الرواية المنسوبة للمسيح عليه السلام أنه ما جاء لينقض الناموس ، أي شريعة موسي - بل ليكمله وباستثناء الأمور التي يري المسيحيون أن الإنجيل قد نسخها من التوراة فإنهم يؤمنون ببقيتها ويعتبرونها كتابا مقدسا إلهيا لا غني عنه في التشريع .

أما عن تاريخ التدوين فينبغي أن ندرسه من خلال شخصية بولس الذي حول مجري العقيدة عما جاء به عيسي عليه السلام ، فألف ديانة جديدة مخالفة تماما ويصح نسبتها إليه بدلا من نسبتها إلي المسيح عليه السلام

فمن هو بولس ؟

إنه يعرفنا بنفسه بقوله (أنا يهودي فريس بن فريس علي رجاء قيامة الأموات) وكان شديد العداء للمسيحيين ، فأخذ يعمل فيهم قتلا ، ويجر الرجال والنساء ويسلمهم إلي السجن ويسطو علي الكنيسة . وتضمن سفر الأعمال صنوفا من ألوان التعذيب والاضطهاد والتقتيل الذي فعله بالمسيحيين حتي اعترف بنفسه في نصوص كثيرة ، منها ما جاء في الإصحاح الثاني والعشرين مخاطبا اليهود (كنت غيورا لله ، كما أنتم جميعكم اليوم واضطهدت هذا الطريق حتي الموت ، مقيدا ومسلما إلي السجون رجالا ونساء كما يشهد لي أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين أخذت منهم رسائل للأخوة إلي دمشق ذهبت لآتي بالذين هناك إلي أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا) .

ويعطينا الأستاذ ابراهيم خليل بعض اللمحات المميزة التي تفرق بينه وبين المسيح عليه السلام ، من حيث المباحث الدينية وطرق الدعوة ، فقد تميزت طريقة المسيح (بطابع السمو والبساطة حتي يفهمها - لأول وهلة - الزارع والصانع والمثقف والأمي والرجل والمرأة دون أدني إجهاد للذهن . وعندما سئل كيف يرث الحياة الأبدية ؟ أجاب المسيح - عليه السلام : « إن الدين هو حياة وقوة وليس مجرد تعاليم » الدين هو أن يعيش المرء في إطار أحكام الشرع لا يتعدي أوامر الله ولا يقترف نواهية .

أما أسلوب بولس المدعو رسولا ، فإنه يعبر عنه في هذا النص : (فإني إذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسي للجميع ، لأربح الكثيرين ، فصرت لليهودي كاليهودي لأربح الذين تحت الناموس .. الخ ، صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء صرت للكل كل

شيء لأخلص علي كل حال) .

ويستخلص من تحليله لأقواله وتعاليمه أنه كان متعمقا في معرفة الفلسفة اليونانية فكانت سارية في كتاباته ، هذه الفلسفة التي لم ترو قط عن المسيح عليه السلام . ولم يقتصر الأمر علي هذا ، بل إنه أشاع فكرة التمييز العنصري أيضا ، وهي تناقض مباديء المسيح ، وها هو نداء بولس إلي أهل غلاطية : (اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة ، إذن أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة ، فأين هذا من قول المسيح ، أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم) .

ويصف لوقا كيف تحول بولس إلي المسيحية فيقول :

(وعندما كان بولس قريبا من دمشق ، فبغته أبرق حوله نور من السماء فسقط علي الأرض ، وسمع صوتا قائلا : « بولس ، بولس لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذي تضطهده . فقال وهو مرتعد ومتحير : يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟

فقال له : قم وكرز بالمسيحية). وكان ذلك حوالي سنة ٣٨ م ، ومنذ ذلك الحين تحررت المسيحية من انتمائها السياسي الديني إلي اليهودية لتنفتح علي الوثنيين . فأسقط بولس الختان والسبت ومراسم المعبد بالنسبة لليهود ، وحدث صدام عنيف بينه وبينهم في حادث انطاكية ٤٩ . وضعف اليهود المسيحيون منذ ذلك الحين بعد أن كانوا هم المسيطرين ، وقد استغل بولس اعتقاد الرومان في التثليث ، وغضب اليهود علي تعاليم المسيح ، واستطاع أن يصوغ كما يقول الدكتور أحمد السقا اشارات التوراة عن نبي بني اسماعيل عليه السلام في شخص عيسي المسيح نفسه وذلك بجعله كل شيء حتي لا يفكر الناس في نبي بعده .

في ذلك الوقت كان برنابا من أوائل الذين عرفوا حقيقة بولس ففضح نواياه ، وأذاع علي الملأ خبايا عقيدته الباطلة التي دسها علي المسيحيين دسا .

ثم ظهرت كتابات برنابا لتكشف القناع عن المشادة التي حدثت بينهما في قوله (أيها الأعزاء ، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح ، برحمته العظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوي التقوي ، منبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر به الله دائما ، مجوزين أكل لحم نجس الذي ضل في عدادهم بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسي . ويمضي حديثه محذرا من اتباع بولس ، ومؤكدا مخالفته لتعاليم يسوع - عليه السلام - لأنه عاشره وعرف تعاليمه ، فيقول : (وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي يوسع ، لكي تخلصوا ، ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله ، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه ، لتخلصوا خلاصا أبديا) .

ويصبح استبعاد إنجيل برنابا مفهوما في ضوء انتصار المسيحية البولسية علي المسيحية اليهودية ، ولصيتعا ببحث مضامينه العقائدية المخالفة لعقائد النصاري الحالية ، ولما كان من المستحيل التوفيق بين النقيضين ، فما أسهل استبعاده .

التعريف بالأناجيل

تعتبر الأناجيل في النصرانية - كما يقرر الشيخ ابو زهرة - بمكانة القطب أو العماد في النصرانية ، فهي تشتمل علي أخبار شخصية المسيح - عليه السلام - من وقت الحمل إلي وقت الصلب في اعتقادهم ، وقيامه من قبره بعد ثلاث ليال ثم رفعه بعد أربعين ليلة ، كما تشتمل علي عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم والصلب والفداء .

وقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة أثبت ذلك

مؤرخو النصرانية ، ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ علي الأناجيل الصادقة - في اعتقادها - فاختارت هذه الأناجيل الأربعة الرابحة إبان ذلك .

أما عن طريقة اختيار هذه الأناجيل فلا تخلو من طرافة حيث يروي التاريخ أن قسطنطين الأكبر جمع ثلاثمائة من القساوسة فوضعوا الأناجيل تحت طاولة العشاء المقدس ودعوا الله أن تصعد الأناجيل الصادقة فوق الطاولة ، وأصدر قسطنطين قرارا باعتبار غيرها زائفة ، وأمر بإحراقها وإعدام كل من احتفظ بنسخة منها .

ويقوم موشيم في كتابه (ناريخ الكنيسة): (لقد كانت هذه الأحكام ظالمة غير معقولة ، حتي أن الملك نفسه ندم عليها بعد ذلك . فقد أصدر الملك قسطنطين

حكمه بإحراق كتب فرقة آريوس في ذلك الموكب ونفيهم من البلاد ، لكنه بعد بضعة أعوام وفي ٣٣٠ م حين قالت أخت الملك وهي علي فراش الموت إن قراره ضد هذه الفرقة كان ظالما ، وقد أصدره بناء علي تعصب أعداء آريوس لا علي أساس الصدق والحق ، ألغي الملك قراره هذا ، ولكن آريوس كان قد مات قبل أن يصل إليه قرار الغفو) ، ومهما يكن من أمر فلا ينبغي أن تنسينا هذه الأحداث المذهلة الوقوف علي الوثائق الأصلية التي اعتمدت عليها الأناجيل ، وهل تحمل فعلا كلمة الرب ؟ .

الأصول المخطوطة

يذكر القس سوجارت في مجال الاثبات أنه يوجد ما يقرب من أربعة وعشرين ألف مخطوط يدوي قديم من كلمة الرب ، من العهد الجديد وحده في الواقع ، وأقدمها يرجع إلي ثلاثمائة وخمسين عاما بعد الميلاد ،

والنسخة الأصلية أو المنظورة أو المخطوط الأول لكلمة الرب لا وجود لها .

ولكن الشيخ أحمد ديدات أثبت أن ذلك ليس دليلا علي أنها من عند الله تعالي - إذ ليس بين هذه المخطوطات - علي كثرتها - إثنان متماثلان باعتراف علماء النصاري أنفسهم ، فالإنجيل الذي بين أيديهم ليس إنجيل عيسي - عليه السلام - الذي هو من عند الله - أو عندما تتفحص هذه الكتب تجد العبارات الآتية المذكورة بنسخة الملك جيمس وهي : -

(الإنجيل وفقا للقديس متي)

(الإنجيل وفقا للقديس مرقس)

(الإنجيل وفقا للقديس لوقا)

(الإنجيل وفقا للقديس يوحنا).

إنجيل جيمس

تعتبر نسخة الملك جيمس من الانجيل هي الكتاب المعتمد لدي البروتستانت ، ووصفت هذه النسخة بأنها أنبل إنجاز في النتر الإنجليزي ، فمراجعوها عام ١٨٨١ م أعجبوا ببساطتها ، وسموها وبقوتها ونغماتها المرحة .. وإيقاعها الموسيقي وتعبيراتها اللبقة ، فقد دخلت في تكوين خصائص المؤسسات الحكومية في الدول المتحدثة باللغة الإنجليزية . ومع هذا فإن علماء اللاهوت الذين راجعوها وساعدهم في إخراجها هيئة استشارية تمثل خمسين طائفة دينية ، هم أنفسهم الذين قرروا أن نصوص الملك جيمس بها عيوب خطيرة جدا ، وأن هذه العيوب والأخطاء عديدة وخطيرة مما يستوجب التنقيح في الترجمة الإنجليزية !! .

مع العلم بأن هذه النسخة أقرها البروتستانت بعد حذف سبعة كتب من أصل كتاب الرومان الكاثوليك ،

باعتبارها كتبا مشكوكا في صحتها ويسمونها الأبوكريفا Apocrypha ويذكر القسيس سوجارت سبب الاستبعاد بأن البروتستانت يؤمنون بأن الأسفار المستبعدة ليست وحيا فيقول : (وهناك بعض الأسفار ، تعرف (بأبوكريفا) وهي لم توضع مع أناجيل البروتستانت ، ولكن الكاثوليك يضعونها مع أناجيلهم لأسباب خاصة بهم : والسبب الذي يجعلنا لا نضم هذه الأسفار إلي الإنجيل : هو ببساطة أننا نؤمن بأنها ليست وحيا . وعندما تقوم بفحصها تجد أمامك أسبابا كثيرة تكفي لإظهار أنها ليست وحيا ، وعندما رد عليه أحمد دويدات ألقي الضوء علي كلمة أوكريفا واعتبرها من المصطلحات الفنية التي يستخدمها القساوسة بينما لا تعرف الجماهير المسيحية، معناها ومعناها مشكوك في أمره أى ضعيف - ليس أهلا لأن يوضع في كتاب الله . ولهذا السبب استبعدها البروتستانت واعتبروها تلفيقا . ثم أشار إلي نسخة

إنجيل الملك جيمس باعتبارها النسخة المعتمدة ،وتساءل معتمدة ممن ؟ ليس من الله تعالي . معتمدة من الملك جيمس.. إنه هو الذي اعتمدها ، وليس الله تعالي .

المسيحية والعقائد الوثنية

اقتبست المسيحية معتقدات وثنية كثيرة ، ويمكن أن نعطي تفاصيل أوسع عن أحد المعتقدات الوثنية لنري مدي صلة المسيحية بها .

ديانة متراس فارسية الأصل ، ازدهرت في بلاد فارس قبل الميلاد بحوالي ستة قرون ، ثم نزحت إلي روما حوالي سنة ٧٠ ق . م ، وانتشرت في بلاد الرومان ، وصعدت إلي الشمال حتي وصلت بريطانيا ، وقد اكتشفت بعض آثارها في مدينة يورك . ومدينة شستر ، وغيرها من مدن انجلترا وتذكر هذه الديانة أن متراس :- كان وسيطا بين الله والبشر ، وأن مولده كان في كهف أو زاوية من الأرض في ٢٥ ديسمبر ، كان له

إثنا عشر حواريا ، مات ليخلص البشر من خطاياهم . دفن ولكنه عاد للحياة وقام من قبره ، صعد إلي السماء أمام تلاميذه ، وهم يبتهلون له ويركعون ، كان يدعي مخلصا ومنقذا ، ومن أوصافه أنه كان كالحمل الوديع ، كان أتباعه يعمدون باسمه ، وفي ذكراه كل عام يقام عشاء مقدس . ويقول Ropertson إن ديانة متراس لم تنته في روما إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلي المسيحية .

وإذا كانت ديانة متراس قد أمدت المسيحية بهذه التعاليم فإن ديانة بعل إله البابليين كانت معينا للمسيحية في موضوع هام من موضوعاتها العاطفية ذلك هو قصة محاكمةاعيسي وصلبه ، وقد وضع البابليون قصة محاكمة بعل في تمثيلية مؤثرة كانت تمثل كل عام قبل مولد المسيح بقرون عديدة ، وكانت تمثيلية حافلة بالغموض والحزن» وقد اكتشفت في مطلع هذا

القرن بأرض بابل لوحتان يرجع تاريخهما إلي القرن التاسع قبل الميلاد . وسجلت عليهما قصة محاكمة بعل ونهايته ، وقد أخذ اليهود إلي سجن بابل منذ عهد نبوخذ نصر . وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض كل مطلع ربيع ، وعندما عاد اليهود إلي ديارهم كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم ومؤثرة في حياتهم ، فانعكست علي أدبهم وعلي حياتهم العامة ، وعقب نهاية المسيح ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها مع اسم جديد وضع مكان بعل ، وهذا الاسم هو المسيح ، حتي ليمكن القول : إن قصة صلب المسيح كما توردها الأناجيل هي قصة منتحلة تماما . وفيما يلي بعض عناصر التشابه بين القصتين : -

محاكمة بعل	محاكمة عيسي
١- أخذ بعل أسيرا .	١- أخذ عيسي أسيرا .
٢- حوكم بعل .	٢- وكذلك حوكم عيسي .

٣- جرح بعل بعد المحاكمة .
٤ - اقتيد بعل لتنفيذ الحكم علي الجبل .
٥- كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام وجرت العادة أن يعفي كل عام عن شخص حكم عليه بالموت وقد طلب الشعب إعدام بعل ، والعفو عن المذنب الآخر .
٦- بعد تنفيذ الحكم علي بعل عم الظلام وانطلق الرعد ، واضطرب الناس .

٣- اعتدي علي عيسي بعد المحاكمة.
٤- اقتيد عيسي لصلبه علي الجبل.
٥- وكان مع عيسي قاتل اسمه باراباس محكوم عليه بالإعدام ورشح بيلاطس عيسي ليعفو عنه كالعادة كل عام . ولكن اليهود طلبوا العفو عن باراباس وإعدام عيسي .
٦- عقب تنفيذ الحكم علي عيسي زلزلت الأرض وغامت السماء

٧- حرس بعل في قبره حتي لا يسرق اتباعه جثمانه .

٨- الآهات جلست حول مقبرة بعل يبكينه

٩- قام بعل من الموت وعاد إلي الحياة مع مطلع الربيع وصعد إلي السماء .

٧- وحرس الجنود مقبرة عيسي حتي لا يسرق حواريوه جثمانه

٨- مريم المجدلية ، ومريم أخري جلستا عند مقبرة عيسي تنتحبان عليه .

٩- قام عيسي من مقبرته في يوم أحد ، وفي مطلع الربيع أيضا وصعد إلي السماء .

الفهرس

التوحيد بين الإسلام
والديانات الأخرى

آفاق

هـذه السلسلـة

كتاب الاسكندرية الثقافى نافذة تطل على آفاق عالم الفكر والآداب والفنون .

وهـذا الكتـاب ....

يمثل الحوار بين الأديان حتمية من حتميات الحوار الحضارى، وفى هذا الكتاب يقيم المؤلف حواراً بين العديد من الأديان منطلقا من التوحيد كأصل يراه بداية كل دين، موظفاً المكتشفات الأثرية فى خدمة علم مقارنة الأديان ، ان هدف هذا الكتاب ليس دحض الأديان الاخرى بل الوصول إلى الحقيقة من خلال النقاش العلمى الجاد

مكتبة الاسكندرية للنشر التوزيع

